ـــعي في أيلول 62 أشعلت شرارة الحرية والاستقلال

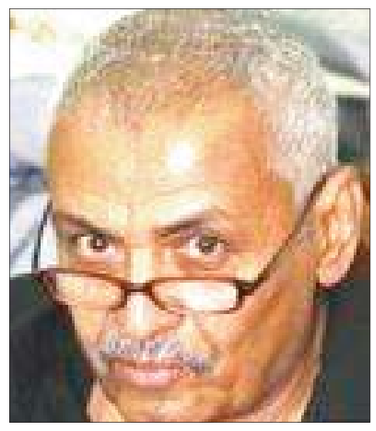
• سالم باجميل

• صالح الدحان

• عبدالله الخامري

• عمر الجاوي

فيضان بشري

* ونحن نتحدث عن سبتمبر..أين كنت يوم إعلان قيام ثورة سبتمبر؟وماذا فعلت مع أبناء جيلك ؟ كيف رصدت رد الفعل الجماهيري في عدن إزاء يوم كهذا ؟

* كنت في مدينة عدن.. وانتابتني موجة شعور غامرة بالفرح وخيل إلي وأنا أسير على الأرض وكأنني أطير في فضاءات مشحونة بالسعادة والسرور.. كان بالنسبة لي قيام الثورة بمثابة مفاجأة سارة أصابتني بالذهول.. ومر يوم والثاني ثم أفقت على حراك جماهيري في عدن لا مثيل له في تاريخ نضال الشعب اليمني الباسل أمواج بشرية تتدفق باتجاه شمال الوطن مفعم بالتأييد والدعم للثورة.. ورأيت بأم عيني فيما بعد كيف كان الناس يتوافدون من أجل الذهاب إلى شمال الوطن للدفاع عن الثورة.. شباب وشيوخ تجار وعمال ومن أهل السياسة والرأي يتسابقون إلى السيارات كأنهم في ماراثون أسطوري من يفوز فيه بالطلوع إلى إحدى السيارات قبل الآخر يفوز بالحياة.. وأردت أن أكون أحد هؤلاء ولكن شهادتي وأصدقائي كانوا لي بالمرصاد وحالوا دون تحقيق أمنيتي تلك.. ولما عدت إلى حيث سكني تملكتني نوبة من الحزن وظننت أنني وحدي وبكيت بحرقة وحرارة، وما دريت إلاَّ وأحد رفاقي في حركة القوميين العرب يقول لي: لا تبكي يا رجل وأعلم أنه ينتظرك هنا في جنوب الوطن دور اليوم أو غداً.. ثق بي وتحمل وسوف يتأكد لك صحة كلامي هذا..وتطلعت إليه من خلال الدموع ثم قلت له : ربنا يسمع منك يا... قال: أنا ناصر علي صدح ألم تعرفني يا سالم ؟ قلت: بلى ولكن علمي أنك بالقاهرة. قال: جئت بالأمس الأول ولما عرفت أنك هنا جئت لزيارتك.. ثم تصافحنا واقترح أن نذهب إلى الزريقي في مدينة التواهي.. وهو شاب تاجر ودمث الأخلاق قلت له: وهو كذلك. قال معلقا: مزاجك شمالي ومقامك جنوبي.. ووجدنا لدى الزريقي أخبار لا أول لها ولا آخر عن الثورة والثوار منها ما يسر وأكثرها ما يحزن.

موقف عدائي

* وكيف رأيت موقف الاحتلال البريطاني للجنوب تجاه الثورة في الشمال؟

* وقعت مفاجأة قيام ثورة سبتمبر 1962م وقوع الصاعقة على رأس سلطات الاحتلال البريطاني وعملائها في حكومة الاتحاد (العربي) المزيف.. ولكنها اكتفت إزاء رد الفعل الجماهيري المؤيد بالرصد وعدت نفسها هي وعملاءها للتدخل سياسيا وعسكريا لصالح الملكيين .. وفعلا قامت باعتداءات ضد الجمهورية اليمنية الفتية آنذاك وضربت منطقة حريب في مأرب.. كانت بريطانيا عضوا مؤسسا وفاعلا في التحالف الإقليمي الدولي المشئوم ضد ثورة شمال الوطن اليمني.

* ماذا تقول عن أصداء ثورة سبتمبر في الصحافة العدنية؟

* كانت الصحافة الصادرة عن عدن ميناء اليمن الشهير مرآة لانعكاس أخبار الثورة السبتمبرية.. وكانت في الصدارة منها (الأيام) و(فتاة الجزيرة) وصحافة مؤتمر عمال نقابات عدن.. ولاحت عدن لعيني في ذلك الوقت بمثابة مصهراً بشرياً كبيراً لحراك ثوري وطني منقطع النظير.

دعم سبتمبر

* من المعروف أن الأحزاب وخاصة (حركة القوميين العرب) و(الاتحاد الشعبي الديمقراطي) و(حزب الشعب الاشتراكي) والنقابات لعبت دوراً مهماً في الحشد والتعبئة لنصرة ثورة سبتمبر وجمع التبرعات وإرسال المتطوعين من الشباب للالتحاق بالحرس الوطني في صنعاء..كيف عشت هذه التجربة وما أهميتها في مسيرة الحركة الوطنية اليمنية فيما بعد؟.

* هذه حقيقة أخرى لا غبار عليها ..لعبت الأحزاب والنقابات بلا استثناء دوراً بارزاً ومهماً في التعبئة والحشد لمناصرة ثورة سبتمبر وعملت على جمع المال وإرسال الشباب المتطوعين للالتحاق بالحرس الوطني في صنعاء للدفاع عن الثورة والنظام الجمهوري، شخصياً ..كنت أحد نشطاء نقابة المعلمين الذين تبرعوا لصالح الثورة وحرضوا الناس على ذلك الفعل.. دوري كان محدوداً في ذلك بتنفيذ ما يوكل إليَّ وفي (كتاب حياتي) الذي أتوقع أن ينشر على أيدي ولدي أحمد وإخوته سيجد القارئ الكثير مما لم أتمكن من تسجيله في هذا المقام المهم.. أن ثورة سبتمبر حركت المياه الراكدة في عدن وسائر مدن وأرياف اليمن أجمع.

كما تعلم المشاركة السياسية في الحكم.. والحكم كان محتكراً في شمال الوطن للأئمة وأعوانهم وفي جنوبه أحتكره الاستعمار البريطاني وعملاؤه ولهذا كانت الرقابة موجودة على العمل السياسي الحزبي بشكل أو بآخر، ولكن العمل النقابي الشكلي كان مفتوحاً ولهذا شكل مدخلاً تمهيدياً للسياسة الوطنية في اليمن.. وهذه هي إحدى خصوصيات تطور الحركة الوطنية.

مقاومة الاستعمار

* ما أبرز الأحداث النضالية التي عشتها هناك خلال النصف الثاني من العقد الخمسيني؟.

* شهدت في صباي أحداث نضالات مزارعي دلتا أبين..وكيف كانت تتآمر على مطالبهم المشروعة دوائر الاستشارة البريطانية وتمالئهم في هذا التآمر والظلم سلطنتا الفضلي واليافعي (يافع السفلى) وشهدت بعض اجتماعاتهم مع زعماء الرابطة محمد علي الجفري وشيخان الحبشي ومن أبين الأمير الحافي أحمد عبدالله حيدرة والأستاذ عبدالله أحمد الحاج مؤسس التربية والتعليم في أبين وعلي سالم شدادي البريكي وغيرهم.. وكانت مطالب المزارعين على ما أذكر محددة في إعادة النظر في أسعار القطن وتقديم التسهيلات للمزارعين وإصلاح السدود وقنوات الري.. ولازلت أذكر طلقات الرصاص عندما رفع الأستاذ عبدالله أحمد الحاج منديلاً أبيض لوح به أمام عيون الحاضرين قائلاً: انظروا نصاعة بياض هذا المنديل إنه من قطنكم.

من بوابة "القوميين"

* وما قصة دخولك الميدان السياسي؟

* البداية تعود إلى مطلع ستينيات القرن الماضي، ودخلت هذا الحقل من بوابة حركة القوميين العرب في عدن .. ولهذا الانضمام قصة ظريفة أود أن أرويها باختصار على النحو التالي ..كنت من عشاق ومحبي الزعيم جمال عبدالناصر ولا أفوت الاستماع عبر المذياع إلى خطاب من خطاباته.. وكنت من الحريصين على قراءة سلسلة «اخترنا لك» وهي عبارة عن كراريس كانت تصدر أثناء وبعد إعداد ميثاق العمل الوطني للشعب العامل في مصر..وكان يلاحظني أحد أقربائي الذين سبقوني في الانضمام لحركة القوميين العرب فأشار عليَّ قائلاً: ما دمت تحب الزعيم جمال عبدالناصر إلى هذا الحد لماذا لا تنضم إلى أصدقائه أنصاره في اليمن؟! قلت: ومن أين لي أن أعرفهم؟!. قال: أنا واحد منهم، وسأدلك على من هو مؤهلاً أكثر مني لمساعدتك. قلت له: أوافقك ولك مني المحبة يا محمد.. وفي مساء ذات يوم من أيام يناير عام 1962م أخذني محمد سالم محوري وكان أحد طلاب كلية الاتحاد ليقدمني إلى الأخ المناضل عبدالله الخامري .. وهذا بعد أن دردش معي حول الوحدة العربية قال لي: إنني أراك جاهزاً للانتماء إلى الحركة..ودارت الأيام وما دريت إلاَّ والخامري يقول لي: آن الأوان الآن أن آخذك إلى مسئول كبير في حركة القوميين العرب في اليمن الذين هم أنصار وأصدقاء الرئيس جمال عبدالناصر قلت من فوري: يا حبذا هذا الخبر وهذه الساعة.

وهكذا أخذني المناضل عبدالله الخامري إلى كافتيريا هاشم الشعبي التي كانت تقع في حافة الهاشمي في مدينة الشيخ عثمان جلسنا هناك نشرب عصير الليم ..فما أن ذهب الزبائن حتى وجدت الخامري يصعد بي إلى مخبأ داخل الكافتيريا نفسها لنجد أنفسنا وجهاً لوجه أمام شاب يبدو في العقد الثلاثيني من العمر استقبلنا بابتسامة عريضة مرحباً بنا : أهلاً وسهلاً بكما. قال لي الخامري وهو يشير نحوه : هذا هو قائدنا الأستاذ المناضل فيصل عبداللطيف الشعبي. فقلت من فوري حصل لي الشرف.. ثم قدمني الخامري إليه قائلاً: هذا الرفيق سالم الذي حدثتك عنه بالأمس. فهش وبش في وجهي مبدداً مهابتي بقوله: كيف أحوالك الشخصية وأحوال المزارعين والموظفين في أبين؟!

قلت: إننا جميعاً بخير وقلوبنا مع الزعيم جمال عبدالناصر وأنصاره وأصدقائه في اليمن. قال: هذا كلام كبير يا سالم وسيكلفك من العناء والجهد في المستقبل الشيء الكثير. قلت: بداهة من يخطب الحسناء لا يهم مهرها. فشد على يدي ودعا لي بالتوفيق ثم قال: موعدنا في الغد في نفس المكان والزمان إن شاء الله. قلت: وهو كذلك ثم انصرفنا كلا إلى سبيله فقال لي الخامري: مبروك أصبحت واحداً من أصدقاء وأنصار عبدالناصر في اليمن يهمنا ما يهمك ولا شك سيهمك ما يهمنا حتى النصر أو الشهادة. صدقني يا عبدالحليم لو قلت لك أنني لم أنم تلك الليلة وبقيت ساهراً حتى الصباح وأنا أفكر في شرف الانتماء إلى أصدقاء وأنصار الزعيم جمال عبدالناصر.

اللقاء مع "فيصل"

* وما الذي حدث بعد هذا اللقاء؟

* حدث ما كنت ابحث عنه..ففي الموعد المحدد ذهبت إلى الرفيق فيصل عبداللطيف الشعبي بمفردي حيث وجدته بنفس المكان السابق يستقبلني بذات البشاشة والابتسامة ومما قاله لي : فرصة طيبة أنك جئت قبل الموعد بحوالي عشر دقائق .. قلت: أنا اطلب المعذرة لأن هاشم هو من أمرني بالدخول عليك.. قال: لا بالعكس كم أسعدني مجيئك مبكراً، ودعنا نستفيد من الوقت حتى يأتي أخونا الذي سيكون مسئولك التنظيمي .. قلت له : تحت أمرك يا أستاذ. ثم سألني: هل لديك صديق من شمال الوطن؟! قلت: لا..أنا قادم من زنجبار أبين.. وأنت تعلم كم هي مغلقة في وجه غير أبنائها ..في حين يتواجد الناس في عدن من كل أنحاء اليمن للحصول على الأعمال والمعارف الإنسانية الجديدة. قال: صدقت ولكن إذا لم يكن لديك صديق من شمال الوطن اليمني فمعنا الكثير منهم .. وقطع الحديث دخول شخص علينا لم أكن على معرفة سابقة به .. بعد أن سلم علينا أخذ مكانه بجانب فيصل الذي قال له : هذا سالم محمد باجميل رفيق جديد لديه معارف ثورية وقومية أرجو أن تهتم به وتنضم معارفه حتى يغدو واحداً منا.. قال الرجل : ابشر سيكون لك ذلك وأكثر. ثم عاد فيصل ليوجه حديثه نحوى : عفوا أنا دخلت بك في صلب الموضوع قبل أن أعرفك بالرفيق نور الدين قاسم.. قلت: لا بأس حصل خير إن شاء الله. وانتهى اللقاء عند هذه النقطة لكنه لم ينقطع مع نور الدين قاسم مسئولي التنظيمي الأول في حركة القوميين العرب وكانت لي معه وغيره قصة تثقيف ذاتي وتربية سياسية لازماني طوال سني عمري وحتى اليوم.

* وما العمل بعد ذلك؟

- بقيت في عدن حتى أنهيت دراستي في معهد المعلمين ثم عدت إلى مدينة زنجبار مملوءاً بالشباب والخواطر عن رؤى الحاضر والمستقبل تغمرني السعادة والزهو بالشعور إلى اكتشاف حب الانتماء الواعي إلى اليمن وإلى حركة القوميين العرب.

"الزحف المقدس"

* لو عدنا إلى عدن وتحديداً ما شهدته كريتر في يومي 23 و24 سبتمبر 1962م من وقائع مسيرة «الزحف المقدس» لإسقاط المجلس التشريعي للاتحاد .. فماذا بقي في ذاكرتك من صور تلك الأحداث؟ وأين تقرأ دلالاتها.. خاصة أنها جاءت قبل يومين من قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام 1962 في شمال الوطن؟.

* طبعاً عشت ما جرى في تلك الأيام الخالدة من انتفاضة جماهيرية ضد سياسة المستعمرين رأيت كيف توحد شعبنا واسمع قضيته للعالم وأن لا بديل عن الحرية والاستقلال..وبقى في ذهني من مشاهد «الزحف المقدس» لإسقاط المجلس التشريعي الكثير أهمها.. مهابة من غضب الشعب.. وكيف ينبغي على الحكام أن يتقوه مهما بلغوا من القوة.. زحف وهتاف ودماء وشهداء وكأنما طلقات الرصاص لا تعني شيئاً للجموع الثائرة.. قراءتي لدلالاتها المستقبلية في تلك المرحلة تكمن في أنها انعكست بقوة في تأييد ودعم ثورة 26 سبتمبر 1962م التي قامت بعد يومين من ذلك الحدث الثوري الجماهيري في عدن وفي احتضان عدن والعدنيين لثورة 14 أكتوبر عام 1963م في ما بعد.. وإن العدنيين ناصروا الثورة والثوار وأعطوهم مددا معنويا وماديا على امتداد تاريخ نضال الثورة اليمنية.

> تحالف الأئمة مع المستعمرين وراء تخلف وعزلة وتمزق الشمال و "محميات" الجنوب

> شاهدت في صباي مزارعي " دلتا أبين " يقاومون استغلال الانجليز والسلاطين للقطن

> ظهور النقابات والأحزاب في عدن الخمسينيات دلالة كبيرة لوحدوية الجيل المؤسس

> عشقت الصحافة في "فتاة الجزيرة" و"الأيام" وجذبتني السياسة.. و"الدحان" أعجبني

• محمد باشراحيل

• محمد لقمان

• نور الدين قاسم

> عدن أيام الاحتلال البريطاني مدينة للتعايش الانساني بين مختلف جنسيات ولغات العالم